المصهر الفني لصناعة تماثيل البرونز في الشيخ عمر

لم يصل الواسطي إلى المصهر ماشياً على قدميه!

تحقيق وتصوير / عبد الزهرة المنشداوي

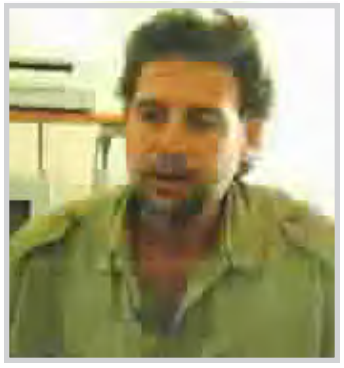

- في زمن الطاغية كانت الاعمال التي تخرج من المعهد بلا روح وهي مجرد كتل معدنية

يقبع مصهر البرونز لصب التماثيل التابع لوزارة الثقافة في شارع الشيخ عمر بمسقفاته المتوازية وراء محال تصليح السيارات وكأنه يتطلع إلى حياة تدب في اوصاله من جديد بعد ان نال نصيبه من النهب والسرقة التي اتت على الكثير من محتوياته وخاصة الاجهزة الكهربائية والاثاث ونماذج النحات محمد غني حكمت وخالد الرحال وغيرهم.

القائمون على مصهر البرونز في شارع الشيخ عمر تبدو عليهم العزيمة والتصميم بجعل المصهر الفني معملا لصنع الجمال والفن لساحات وشوارع بغداد وغيرها من المدن بعد أن كان حكراً على تماثيل القائد الضرورة وافكاره الساذجة. امانة بغداد ووزارة الثقافة تناوبتا على تبعيته في الايام السالفة وان كان في حقيقة الامر محتكراً تماماً لما يمليه ديوان الرئاسة لتنفيذ اعمال تزيين قصور الرئيس بعمل "اصنام" ورؤوس عملاقة من البرونز كما هو الحال في مدينة تكريت اذ يلاحظ في واجهاتها ما لا يقل عن تمثالين كبيرين لصدام في واجهة كل قصر سخر لها فنانون عرفوا ما يريده فراحوا يضخمون له الاصنام قدر المستطاع وكان ذلك ما يرضي غروره وحب الذات لديه.

لم يكن مصهراً للفن

الفنان ابراهيم ربيع فنان تشكيلي يعد العدة في مبنى المصهر لاجل انشاء قسم الكرافيك يقول لنا:

مصهر تماثيل البرونز قبل هذه الايام كان للنخبة من الذين يرضون غرور السلطة ويتمثلون افكارها. ان اغلب الاعمال التي خرجت من المصهر ووجدت لها مكاناً في ساحات بغداد في غنى من الاشارة اليها فهي معروفة.

التماثيل واللاعمال الفنية ذات المعايير الجمالية والانسانية لم تجد طريقها إلى المصهر وكما ذكرت فقد خصص للنخبة من الذين لا عمل لديهم سوى تمجيد القائد والقيادة باعمالهم ومن ثم قبض اثمانها، ومثل هذه النصب تكون اعمارها قصيرة ولا تطاول الزمن وتنهار مع انهيار اصحابها بعكس الاعمال الفنية التي تمجد الانسان والانانية والوطن فهي ثابتة ما دام الوطن والانسان. ولا نعدم المثال على ذلك متمثلاً بنصب الحرية للفنان الخالد جواد سليم فهذا النصب الخلاق سيبقى ما بقي العراق، لانه لم يجد شخصاً بعينه او ايدلوجية محددة، بل مجد العراق والعراقيين وسيبقى ما بقوا، اما الاعمال الدعائية التي نفذت في زمن النظام المباد فسوف تذهب مع الذين ذهبوا.

عبد الكريم قاسم ونصب الحرية

الفنان النحات سلمان راضي اثاره الحديث فعقب من مكانه قائلاً: بهذا الصدد اود ان اذكر ان الفنان جواد سليم وعند البدء بتنفيذ نصب الحرية وقبل التوجه إلى ايطاليا لصبه بمادة البرونز اقترح على الزعيم عبد الكريم قاسم اضافة صورته للنصب طالما ان العمل يتحدث عن تاريخ العراق وثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي قادها الزعيم وكانت نقطة تحول كبيرة. ومن الاولى الاشارة إلى ذلك كما اقترح عليه. لكنه اجابهم بالقول معملاً ان العمل الفني الذي يمجد فيه الاشخاص سيكون عمره قصيراً ويذهب بذهابهم وهو يريد لعمله البقاء وان مسألة وضع صورة للزعيم سوف تحدده بعمر قصير. هكذا ينظر الفنان للعمل الذي يبغي من ورائه اختراق الزمن فلا يخضعه له. هذا ما يحيلنا إلى الاعمال التي نفذت في هذا المصهر والتي انتهى زمنها بانتهاء الشخوص الذين عملت من اجلهم.

هناك العديد من الاعمال النحتية في العراق وفي ساحات بغداد على وجه الخصوص يجب ازالتها فهي اقرب إلى الدعاية السياسية منها إلى الفن. من امثال مسيرة البعث في ساحة علاوي الحلة وقبضة صدام الضخمة في ساحة الاحتفالات وغيرها من الاجدر وضع نصب جمالية وسياحية مكانها.

الواسطي ضيفاً على المصهر

في جولة داخل المصهر اصطحبنا فيها الفنان النحات نزار مسعود وشاهدنا فيها العديد من تماثيل البرونز مطروحة على الارض يغطيها الغبار من بينها تمثال الواسطي الذي كان موضوعاً عند مدخل مركز الفنون التشكيلية في جانب الكرخ وهو لا يزال يقرأ في كتاب مفتوح لم ينته منه بعد على ما يبدو.

فسألنا النحات مسعود عما جاء بالتمثال من مكانه في جانب الكرخ إلى الرصافة فقال:

بطبيعة الحال لم يأت التمثال ماشياً على قدميه (قال ذلك ضاحكاً) ثم اضاف: بعد سقوط النظام وبالتحديد في الثاني عشر من نيسان عام ٢٠٠٣ كنا مجموعة من الفنانين اخذنا على عاتقنا انقاذ الاعمال الفنية الموجودة في مركز الفنون التشكيلية الذي كان يطلق عليه سابقاً (مركز صدام) استطعنا ان ننقذ نحو ١٤٠٠ عمل فني نقلناها إلى المتحف العراقي ووضعنا قوائم باسماء الاعمال التي استطعنا انقاذها. اذكر باننا كنا نعمل جنباً إلى جنب مع لصوص داخل المركز فاللصوص كانوا مهتمين بسرقة الاثاث والاجهزة الكهربائية ولم يعروا بالاً للواحات والاعمال الفنية المختلفة. وكانوا يعتقدون باننا لصوص مثلهم وكانوا يعيبون علينا الاهتمام بالاعمال الفنية التي لا قيمة لها بالنسبة اليهم لذلك كانوا يرشدوننا إلى سرقة الاجهزة الكهربائية والاثاث. أما بالنسبة لتمثال الواسطي الذي سألتني عنه فله حديث آخر. لقد رأينا سراقاً ينزلون التمثال على الارض ويهمون بسرقته حاله حال تماثيل البرونز التي سرقت ولكنه على ما يبدو صعب عليهم نقله. فاتفقت مع الفنان حسان قصي على انقاذه من ايديهم من خلال الاتفاق مع صاحب (كرين) تبرع بنقله مجاناً بعد ان رفض اصحاب (الكرينات) جميعهم القيام بهذا العمل وهكذا عمل الفنان حسان قصي مع صاحب (الكرين) على رفع التمثال من على الارض للتوجه به إلى المصهر في منطقة الشيخ عمر ليكون بامان من اللصوص. وهنا لا بد من الاشارة إلى ان البعض قد ابلغ الجنود الامريكيين بان صاحب الكرين والسيد حسان من اللصوص ويبغون سرقته فالقوا القبض عليهما وطرحوهما ارضاً بتهمة سرقة تمثال الواسطي. وبعد التدقيق معهما ابلغهم حسان قصي بانه يقوم بانقاذ الاعمال الفنية ويودعها في اماكن امينة وانه سبق له ان اودع عدة اعمال في بناية المتحف الوطني والقوات الاميركية على دراية بعمله فجيء بجنود اميركيين شهدوا له فاطلق سراحه وجاء بالتمثال إلى المصهر، لكن القاعدة التي كان يرتكز عليها وهي جزء من التمثال فقدت مع الاسف. وهذه هي قصة وجود تمثال الواسطي في المصهر. ويواصل الحديث فيقول ايضاً:

نريد من المصهر الفني انجاز اعمال نصب وتماثيل لتجميل بغداد ومدن العراق، تماثيل للناس وللوطن وليس لاصحاب السلطة كما كان في السابق. لدينا الآن مشروع قيد الدراسة لانجاز نصب فني لشهداء الجسر احيل الينا من جهات عليا نريد ان نوظف كل امكانياتنا من اجل انجازه سيكون اول عمل فني نضطلع به في هذا العهد الجديد وليشكل انعطافة في فن النحت العراقي بعد توظيف كل الطاقات والامكانيات واستقطاب الموهوبين من الفنانين الذين غاياتهم في الفن سامية ونبيلة بعكس ما كان اذ كان الفنان يعمل من اجل السلطة وتمجيدها والحصول على المال بينما الفن في حقيقته ابعد ما يكون عن الغايات المادية الرخيصة. انه رسالة اخلاقية وثقافية.

المصهر والتاريخ

النحات عبد المطلب مهدي انتحينا به جانباً وطلبنا منه ان يحدثنا بحديث التاريخ ليخبرنا عن بدايات هذا المصهر العتيد ومن هم رواده واهم الاعمال التي نفذت فيه.

في البدء لا بد من القول ان الارض التي شيد عليها المصهر كانت بالاصل مقبرة ومكان لغسل الموتى وتاريخ التأسيس كان عام ١٩٦٩ على الارجح وان اول فنان باشر العمل فيه هو الفنان نداء كاظم حل محله الفنان خالد الرحال في مطلع السبعينيات ونفذ فيه نصب المسيرة الموجود الآن في علاوي الحلة وكذلك الفنان اسماعيل فتاح الترك الذي يخامرني الشك في انه بدأ العمل في المصهر قبل خالد الرحال لكنني مع الاسف لا استطيع القطع بذلك ما يهم ان الترك نفذ فيه عمله تمثال (ابو نؤاس) الشاخص الآن في الشارع.

النحات طارق مظلوم نفذ فيه عمله النحتي (الكوسج) في مدينة البصرة بينما اقتصرت اعمال النحات ناطق الالوسي على ما كلف به من قبل الجهات الرسمية.

كذلك فان تمثال ابو جعفر المنصور ايضاً نفذ في هذا المصهر وهو للنحات خالد الرحال الذي نحت وعمل تمثال الناصر لدين الله العباسي في شارع الخلفاء ايضاً.

تمثال ضخم

كان هناك تمثال ضخم يقوم تحت سقيفة للمصهر يثير الانتباه لضخامته وعلوه قال النحات عبد المطلب عنه:

العمل يعود للفنان خالد الرحال وهو يمثل شخصية فارس عربي متروك في المصهر منذ امد بعيد فيه اخطاء فنية.

تلميذ خالد الرحال

النحات فريد حسين من تلاميذ الفنان خالد الرحال ونفذ معه عدة اعمال فقصدناه في غرفته في احد اقسام المصهر وتحدث لنا قائلاً:

تتلمذت على يد المرحوم خالد الرحال وفي عام ١٩٧٢ كنت مع عائلتي، زوجتي وشقيقتها وابن خالهما، نعمل في نصب المسيرة وفي هذا الجانب الفنان خالد الرحال نفذ ايضاً عمل نحت ابو جعفر المنصور عام ١٩٧٣ اذكر بان اسماعيل فتاح الترك واتحاد كريم كانا اول العاملين في المصهر، بالنسبة لي نفذت عمل تماثيل رشيد عالي الكيلاني والطبقجلي والقبة الفلكية في الزوراء ويستدرك الفنان فريد ليقول ايضاً:

نصب الواسطي نفذه النحات اسماعيل فتاح الترك في هذا المصهر. واضاف: نريد ان يأخذ هذا المصهر دوره في الحياة الثقافية الفنية ويستقطب جميع النحاتين العراقيين لينفذوا اعمالهم للعراق الجديد.

بعث الروح في البرونز

النحات سلمان راضي من جانبه قال: كثير من التماثيل التي تزين ساحات بغداد نفذت في هذا المصهر. اذكر منها تمثال الرصافي لإسماعيل فتاح الترك وله ايضاً تمثال الفارابي والواسطي وعبد المحسن الكاظمي، بهذا الشأن اذكر ان تمثال الرصافي

- بعض الفنانين أنقذوا ١٤٠٠ عمل فني من السرقة وسط سخرية اللصوص منهم!

كانت فيه اخطاء تم تلافيها من خلال وضع النصب على قاعدة مرتفعة اذ ان نسبة الرأس إلى الجسد كبيرة.

واشار الفنان سلمان إلى ان المصهر بحاجة إلى تقنيات وآلات جديدة للارتقاء بفن النحت العراقي الذي مر بأزمة طويلة من خلال اتخاذه دعاية للسياسة وتمجيد البطولات الزائفة. فن النحت في بلدان العالم وخاصة البلدان الاوروبية منها يتطور باضطراد ونريد ان نسايره. نريد ان نعطي تماثيلنا روحاً وحركة برغم صلابة المعدن. كانت الاعمال تنفذ بسرعة ووفق رغبات السلطة لذلك كانت مجرد كتل معدنية لا روح فيها في هذا الوقت نريد ان نعطي للعراقيين اعمالاً تفيض بالحياة والجمال.

تسهيلات لفناني النحت في العراق

السيد ساري ابراهيم رئيس قسم المصاهر الفنية في دائرة الفنون التشكيلية التابعة لوزارة الثقافة سألناه عن البرامج والخطط الموضوعية لتفعيل هذه الورشة الفنية في العراق فأجاب:

-لدينا خطط وبرامج مستقبلية من شأنها دعم فن النحت العراقي والارتقاء به نحو الافضل من خلال تسهيل مهمة النحاتين في تنفيذ اعمالهم داخل المصهر بسعر الكلفة وهامش بسيط للربح. نحن نعلم جميعاً كيف كان اسلوب العمل في المصهر. كانت قاعات الصب حكراً على نحاتين من دون غيرهم استأثروا به على مدار مدة طويلة من الزمن. لقد وجدنا المصهر شبه معطل. اسلوب العمل السابق نحاول تجاوزه بايجاد آلية للتعامل مع الفنانين الذين يرومون تنفيذ اعمالهم النحتية لدينا، وفسح المجال لهم ضمن ضوابط اصولية عادلة لا تعتمد على الاسماء، نحن في سبيل دعم كل الفنانين دون استثناء، مصهرنا وصدورنا مفتوحان للجميع لخدمة الفنان العراقي. لقد تشكلت لجنة من قبل الوزارة لتحديد احتياجات المصهر وبدعم من السيد وزير الثقافة ووكيله الاقدم.

نحاول الآن تلافي عيوب ايجار قاعات الصب وتداخل عمل القطاع العام مع القطاع الخاص. في كل الاحوال الوزارة جادة في تفعيل دور المصهر في الحياة الثقافية والفنية.

وعن كيفية التعامل مع الفنانين الذين يرومون صب اعمالهم قال:

يأتينا الفنان بنموذجه ويطلب منا صبه في المصهر بالابعاد التي يرتئيها وبدورنا ندخر له مادة البرونز وافران الصهر بما يحتاجه من مواد اخرى ويتم تقدير الكلفة من خلال وزن المعدن واجور العمال المستخدمين.

عادتان اساسيتان

يذكر السيد ساري ابراهيم ايضاً ان معدن البرونز ومادة الشمع اساسيان في عمل المصهر يتم الحصول عليهما بالدرجة الاولى من وزارة النفط ومن خلال جمع رؤوس القناني المستخدمة للغاز وتزويد المصهر بها.

الفنون التشكيلية دعم لا محدود للمصهر

السيد حسين علي حرج مدير عام دائرة الفنون التشكيلية في وزارة الثقافة اتصلنا به من جانبنا لنرى مدى اهتمام وزارته في هذه المؤسسة الفنية العريقة وتفعيل دورها في المستقبل فاجابنا:

الوزارة لا تألو جهداً في سبيل الارتقاء بعمل هذا المصهر ووضع خطط وبرامج مستقبلية له نريد منه ان يكون معلماً ثقافياً متميزاً يستقطب فناينا الموهوبين ليساهموا بدورهم في تفعيل الثقافة والفن للمواطن العراقي من خلال تجميل الساحات والمتنزهات في المدن ولا ابالغ بالقول حين اذكر بانني قد حصصت نصف وقتي لاعادة الحياة لهذا المعلم المهم. ونأمل ان يكون المصهر ورشة عمل لجميع فناينا دون استثناء.

- المطلوب لجنة مختصة لاعادة الحياة لهذه الورشة الفنية

الرأي الثالث

جمهورية الدم

صافي الياسري

على مشارف تلعفر توزع السكان الهاربون من بطش الجريمة على يد الارهابيين الذين ارادوا لها ان تكون (جمهورية الدم) التي ستمتد إلى كل العراق في حلم ارهابي قاعدته واساسه وهيكله الرعب والجريمة. ومع ذلك فان هؤلاء السكان لم يحصلوا على الامن خارج مدينتهم وهم يحدثونك بلهجة الهارب من جهنم قصصاً تجرح الروح وتمرد القلب وتوقف العقل، عشرة اطفال في عمر الزهور ذبحوا من الوريد إلى الوريد في أحد شوارع المدينة، والشيء نفسه حصل لثلاثة طلاب في الاقسام الداخلية في الموصل، والاحصائية تطول لتشمل النساء والرجال دون الالتفاف إلى عمر او حال، ويحدثك بعضهم عن "الجهاد" فاي جهاد يقوم على اغتصاب النساء ونحر الاطفال وكان رسول الله (ص) وخلفاؤه الراشدون يوصون امراء جيوشهم بالعفاف وغض الطرف عن النساء والرحمة بالشيوخ وعدم قطع الشجر وحسن معاملة الاسير، حتى قال المؤرخون والدارسون والقارئون لتاريخ المسلمين المجاهدين، انهم كانوا ارحم فاتحين عرفهم التاريخ، فاين الرحمة من قلوب مؤسسي جمهورية الدم هذه؟، واين الرحمة من قلوب هؤلاء الذين يروعون اليوم سكان مدينة سامراء ويجبرونهم على النزوح من مدينتهم واينها من قلوب قطاع الطرق في السيافية وعرب جبور؟ هؤلاء الذين يهندسون مثلثات الموت ويعيدون تكرار جرائم القتل الجماعي، كنا في بغداد نسمع بجريمة القتل ونتحدث عنها اذا وقعت في اقصى جنوب العراق او شماله، حتى جاء البعثيون فنشروا الجريمة وكمموا الافواه وعمموا الخراب وهم اليوم يعقدون حلفهم المدنس مع خريجي السجون من محترفي الجريمة والتكفيريين والحاقدين على العراق الذي نحاول بناءه بانسانية وروح حضارية تحترم حق الحياة اولاً فضلاً عن بقية حقوق الانسان ومتى كان الجهاد يتخذ من المقابر والاقبية والسراديب اوكاراً يمارس فيها اراقة الدم الطاهر البريء؟!

والصرعة الجديدة للارهابيين، هي احتلال المدارس والقتل على الهوية الطائفية، قتل الطلبة والمدرسين والمعلمين وكنا قد تعلمنا منذ نعومة اظافرنا ان نحترم المعلم وان نهابه، ومن منا لا يتذكر بيت الشعر الذي يقول

قم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم ان يكون رسولا

ومن منا ليس للمعلم يد عليه، حتى هؤلاء الذين يرفعون اليوم سيوفهم لحز رقاب المعلمين، يتذكرون تلك الايادي، إلا ان نكران الجميل طبع تطبع به قطاع الطرق واعداء الحضارة والانسانية فكأنهم ما رضعوا من ثدي العراق وما تثقفوا بثقافة الرحمة التي ظل يدعو لها كل رجالات الاسلام. فاذا كانوا هم من العرب القادمين من (بادية الاعراب) يحملون مفاهيم ثقافة الذبح الطائفي، فأين هم من تحرير ارضهم المحتلة؟ واين هم من معاناة فلسطين؟

واذا كنا نضع تفاصيل الدم العراقي المراق امام انظام (اشقائنا) العرب، واذا كنا ما زلنا نسعى إلى مصالحة وطنية عامة، ونرحب بالسيد عمرو موسى ومبادرة الجامعة العربية لعقد مؤتمر لهذه المصالحة، فإننا بكل اصرار لن نصافح يداً تلوثت بدم عراقي ولن نغفر لها.

وللحرية الحمراء بابكل يد مضرجة يدق
"شوقي"

Safi alyassry@yahoo.com